١

السلسلة الذهبية
من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم
ابو بكر الصديق رضي الله عنه

■ بقلم الأستاذ سميح أحمد عثامنة

ان دعاة الاسلام في كل عصر وجيل، وفي كل زمان ومكان، هم بلا شك ولا ريب، دعاة الحق والخير، وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وهذه السلسلة من الرعيل الأول من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، هي في الحقيقة امثلة صادقة، ونماذج حية ناطقة، تمثل مواقف شتى لهؤلاء الدعاة القادة، الذين فتحوا الدنيا، ونشروا رسالة الحق والعدل في الأرض.

واننا اذ نستعرض الجوانب المضيئة من حياة هؤلاء الكرام، كي تكون نبراساً ونموذجاً صالحاً لنا في هذه الحياة الدنيا، كيف لا وهم سلفُ هذه الأمة وخير قرونها، وخير ما نبدأ به هذه السلسلة، خليفة رسول الله ﷺ، ابو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي، كني بأبي بكر ولُقب بالعتيق والصديق، وهما لقبا شرف وكمال، فالعتاقة هي الحسن والجمال في الوجه، والثاني من الصديقية التي هي اسمى القاب الصالحين في الحياة، وكان ذلك لصدقه وتصديقه، فهو رضي الله عنه أول من آمن من الرجال برسول الله ﷺ وصدّقه فيما جاء به، وقد قال عنه ﷺ: «ما من أحد عرضت عليه الاسلام الا وكانت له كبوة، الا ابا بكر، وقلت: أيها الناس، إني رسول الله اليكم جميعاً، فقلتم: كذبت، وقال ابو بكر: صدقت، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي

لاتخذت ابا بكر خليلاً».

لقد كان رضي الله عنه صادقاً في كل شيء، صادقاً مع ربه، صادقاً مع رسوله ﷺ، صادقاً مع الناس، يتحرى الصدق ويصدق، حتى كتب عند الله صديقاً، وفشا وشاع هذا اللقب بين الذين آمنوا، حتى اصبح صفة ملازمة له عند حديثهم عنه، فيقولون: ابو بكر الصديق.

كان صادق الايمان، منقاداً لأوامر الله ورسوله، مستسلماً لها، وخاضعاً خضوعاً مطلقاً لا يتردد ولا يتلجلج، وقد روى الامام البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أُحداً ومعه ابو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله، وقال: «اثبت أُحد فما عليك الا نبي وصديق وشهيد».

ومما يثلج الصدر، ان ابا بكر رضي الله عنه يُسَر أهل الجنة به، ويحتفون به احتفاءً بالغاً، ويرحبون به اجمل ترحيب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة رجل لا يبقى في الجنة اهل دار ولا غرفة الا قالوا: مرحباً مرحباً الينا الينا، فقال ابو بكر رضي الله عنه: ما ثواب هذا الرجل في ذلك اليوم، فقال رسول الله ﷺ: أجل انت هو يا ابا بكر».

ان هذا الخبر الصادق، يعلن عن مكانة وسمو ابي بكر رضي الله عنه وعلو شأنه، بحيث لا ينبغي لأحد ان يطمع في درجته بحال من الأحوال، ولو اكتفينا بذكر هذا الخبر في بيان فضل ابي بكر رضي الله عنه، لكان كافياً، غير ان حبنا للصديق رضي الله عنه يأبى علينا الا ان نذكر المزيد من فضائله وسيرته المباركة، فقد أخرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قوله: قال رسول الله ﷺ: «من اصبح منكم اليوم صائماً؟ فقال ابو بكر: أنا يا رسول الله، قال: فمن تبع منكم جنازة؟ قال ابو بكر: أنا يا رسول الله، قال: فمن اطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال ابو بكر: انا يا رسول الله، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال: ابو بكر: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: ما اجتمعن في امرئ الا دخل الجنة، ولو وُزِن إيمان ابي بكر بإيمان اهل الارض لرجح بهم».

أما عن جوده وكرمه رضي الله عنه فإن الجود والكرم من صفات الكمال في الانسان، وما زالت البشرية منذ ان كانت تعظم هذين الوصفين في الانسان، وتعتبرهما من مظاهر الكمال في النفس البشرية.

بيد ان اصحاب الدعوات والقيم والمبادئ الذين يوقفون حياتهم على نصر دعوتهم، لا مناص من ان يتكلفوا الجود والكرم، ويوطنوا لها النفوس على ذلك، حتى اصبح الجود والكرم من اخص صفاتهم، اذ الجود والسخاء والكرم ، وهي صفات ثلاث وان اختلفت لفظاً فإنها من حيث المعنى متحدة، وهي بذل المعروف، وتقديم الاحسان، والمبالغة في ذلك الى حد الإيثار على الأهل والولد والنفس، وبذلك يملك الداعي والمصلح النفوس ويجذبها الى محيط دعوته كما قال الشاعر:

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الاحسان انسانا

وهكذا كان ابو بكر رضي الله عنه اذ تقول الآثار المتواترة: انه رضي الله عنه أسلم وعنده اربعون ألف دينار من ذهب، فأنفقها كلها في سبيل الله، نصرة لدينه ولرسوله ﷺ وانقاذاً للمعذبين من المملوكين المسلمين كبلال رضي الله عنه وغيره، وفيه نزل قول الله تعالى: **﴿وسيجنبها الأتقى ❖ الذي يؤتي ماله يتزكى ❖ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ❖ الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ❖ ولسوف يرضى﴾**.

ويقول ﷺ: «ما لأحد عندنا يد الا وقد كافأناه، الا ابا بكر فإن له يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال احد قط، ما نفعني مال ابي بكر».

اننا نورد هذه الشواهد لا لندلل بها على كرم ابي بكر رضي الله عنه فحسب، بل لنحيي في نفوسنا هذا الخلق الكريم، خلق الجود والكرم والسخاء، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أمرنا رسول الله ﷺ ان نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق ابا بكر -ان سبقته يوماً- فجئت بنصف مالي، فقال لي رسول الله ﷺ: ما ابقيت لأهلك، قلت: مثله، وأتى ابو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ: يا ابا بكر ما ابقيت لأهلك، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لن أسبقه في شيء أبداً».

وكان من تواضع ابي بكر رضي الله عنه قصب السبق على أقرانه، إذ التواضع سيد مكارم الأخلاق، والمؤمن الصادق لا غنى له عنه بحال من الأحوال، اذ ضد التواضع، الكبر والعياذ بالله.

من هنا نذكر بعض مظاهر هذه الخلة الكريمة، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه

يتعهد عجوزاً كبيرة من النساء عمياء، وكانت تسكن في بعض اطراف المدينة، يسقي لها، ويقوم ببعض امرها، وذلك من الليل، فكان يأتيها احياناً، فيجد غيره قد سبقه اليها فسقى لها وقضى حاجاتها، فحاول عمر ان لا يسبقه احد الى خدمة هذه العجوز، فعزم ان يرصده ليعرف من هو هذا السبّاق لخدمة هذه الأمة العجوز، وما لبث ان رأى أمير المؤمنين أبا بكر رضي الله عنه يفعل ذلك، فعجب عمر من أمره، وقال: انت هو لعمري».

فهذه الحادثة من ابي بكر الصديق رضي الله عنه لتعتبر من مظاهر التواضع الفذ النادر، وكان رضي الله عنه تأتيه جواري الحي بغنمهن حتى يحلبهن لهن!.

حقاً ان عملاً كهذا من ابي بكر رضي الله عنه، الصاحب الأول لرسول الله ﷺ والصديق الأول له وهو خليفة المسلمين كافة، يتنازل في تواضع لا نظير له عند امثاله في دنيا الناس ابداً، انه المثل الرائع في التواضع، لا يُسامى فيه ابو بكر ولا يُدانى بحال من الأحوال.

ولم تكتمل الثلاث سنوات التي تولى فيها الولاية على المسلمين، حتى وافاه الأجل المحتوم فتوفي رضي الله عنه في بيته نتيجة مرض لازمه قرابة نصف شهر، ودفن بجوار نبيه وحبيبه ﷺ في الحجرة الشريفة؛ فسلام الله عليه ومغفرته ورضوانه.